خَصَائِصُ النَّبِيِّ ﷺ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ

دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

إِعْدَادُ

د. يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الشِّبْلِ

الْأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ بِكُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ فِي جَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودٍ الْإِسْلَامِيَّةِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين، سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد الصادق الأمين،وعلى آله الطيبين الطاهرين،وصحابته الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان واهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد.

فإنَّ نبينا محمداً ﷺ أرسله الله ﷻ بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصَّر به من العمى، وأرشد به من الغي، فبلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وإنَّ كتاب الله الكريم قد أنزله ﷻ على قلب سيد المرسلين هادياً للناس ومنيراً لهم طريق السعادة ، فكان لعلماء الإسلام على مرِّ القرون عناية متميزة ، واهتمام عظيم بهذا الكتاب العظيم ، يتأملونه و يتدبرون آياته، ويستخرجون حكمه، ويستنبطون أحكامه، ويكشفون ما قد يخفى من ألفاظه ومعانيه ، ويظهرون أسراره الكامنة وكنوزه المغمورة ، وكأنهم أمام بحر موّاج ،لا يُدرك غوره ،ولا يتوصل إلى أعماقه،ولا يُحاط بأسراره وعجائبه.

هذا وإنَّ من وسائل تدبره واستخراج حكمه واستنباط أحكامه وكشف أسراره الكتابةَ في التفسير الموضوعي سواء كان ذلك من خلال موضوع في القرآن الكريم ، أو في سورة معينة منه، وهو مما ظهر مؤخراً خدمة لكتاب الله ﷻ وإبرازاً لهداياته، وقد جاءت هذه الدراسة التي بين أيدينا لإبراز مكانة النبي

ﷺ بما أشادت به سورة الأحزاب من بيان خصائصه ﷺ التي خُصَّ بها وأكرمه الله بها وفضله بها على سائر النبيين والبشرية أجمعين والتي وسمتها بعنوان:

[خصائص النبي ﷺ في سورة الأحزاب،دراسة موضوعية].

ولقد كان من دوافع اختياري هذا الموضوع هو تجلية مقام النبي ﷺ وبيان مكانته وفضله ، وما خص به من خصائص تعظيماً لشأنه ﷺ وبياناً بأن الله ﷻ قد أكرمه به من منح وهبات لم تكن لغيره تشريفاً له وتعظيماً وتكريماً مما يدل على جليل منزلته عند ربه. فمعرفة ذلك تجعل المسلم يزداد إيماناً مع إيمانه، ومحبةً وتبجيلاً لنبيه، وشوقاً له ويقيناً به. وتدعو غيرَ المسلم لدراسة أحوال نبيِّنا محمد ﷺ ومِن ثَمَّ الإيمانُ والتصديق به، وبما جاء به ويعلم أنه ﷺ جاء رحمة للعالمين،إن لم يكن من المكابرين المعاندين.

فمعرفة أحواله وشمائله وخصائصه وما يتعلق به ﷺ طريق لما يجب علينا تجاهه فنعرف له منزلته وقدره.

وهذه الدراسة جاءت استكمالاً لدراسة سابقة كانت في صفات النبي في سورة الأحزاب حيث أوردتِ السورةُ اثنتي عشرة صفة من صفاته ﷺ قمت بجمع تلك الصفات ، ودراستها دراسة تفسيرية ، وتجلية ما فيها من أسرار وهدايات .

وهذه الدراسة التي بين أيدينا جاءت لإبراز خصائص نبينا الكريم محمد ﷺ التي أشادت بها سورة الأحزاب حيث أوردت السورة عشر خصائص خص بها نبينا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد ﷺ فاستخراجها ودراستها سبيل للتعرف على سيرة نبينا وتعظيمه وتوقيره والاقتداء به والسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء أثره.كما أن في هذا إنارة للقلوب وتبصرة لها ، وزيادة في الإيمان ومحبة للنبي المجتبى ﷺ وتعظيماً له.

وإنما وقع الاختيار على دراسة هذا الموضوع لأنَّ سورة الأحزاب تميزت عن غيرها من سور القرآن بالإشادة بذكر نبينا محمد ﷺ سواء مما يتعلق بصفاته الجليلة، أو بخصائصه الكريمة فأحببت أن أشارك في إبراز تلك الخصائص الكريمة والفضائل العظيمة المتميزة خدمة لكتاب الله ﷻ ووقوفاً على هداياته، وتوقيراً لنبينا محمد ﷺ وإبرازاً لشيء من حقوقه.

الكتابات السابقة:

كُتبت في خصائص نبينا محمد ﷺ كتابات عديدة وقفتُ على شيء منها إلا أنني لم أقف على من كتب في بيان خصائصه ﷺ من خلال ما جاء في سورة الأحزاب،وآياتها الكريمة التي تضمنت ذلك ، ودَرَسَها دراسة تفسيرية وأبرز هداياتها القرآنية . ومن هذه المؤلفات:

- بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ للعز بن عبد السلام(ت٦٦٠هـ)، وهو كتاب صغير الحجم، طبع بتحقيق:محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.
- غاية السول في خصائص الرسول ﷺ لابن الملقن(ت٨٠٤هـ)، وقد حققه الباحث:عبد الله بحر الدين عبد الله في رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سنة:(١٣٩٨هـ).
- الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب للجلال السيوطي(ت٩١١هـ)، وهو مختصر من الخصائص الكبرى للمؤلف نفسه الذي سماه: أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب .

أسباب اختيار الموضوع:

– تعلقه بكتاب الله ﷻ وتفسيره ، وكفى به شرفاً وعلماً .

– أن الكتابة في التفسير الموضوعي سواء كان ذلك من خلال موضوع في القرآن، أو موضوع في سورة معينة مما برز مؤخراً خدمة لكتاب الله وإبرازاً لهداياته وكشفاً لأسراره، وقد جاءت هذه الدراسة في بيان مكانة النبي ﷺ بما أشادت به سورة الأحزاب من بيان خصائصه الجليلة ﷺ، لتكون دراسة تفسيرية، مجليةً ما فيها من هدايات وتوجيهات ربانية ، ومبرزةً ما حوته من أوجه بلاغية، وأسرار بديعية.

– أن سورة الأحزاب تناولت جوانب مهمة في حياة المسلم حيث اشتملت على أحكام وتعاليم وآداب تربوية للفرد والمجتمع وللرجال والنساء ، ولهذا كتب عمر بن الخطاب ﷺ(ت٢٣هـ):« أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور ».[1]

لهذا الأمر ولرغبتي في خدمة كتاب الله تعالى عمدت إلى الشروع في دراسة هذا الموضوع وجمع شتاته، إسهاماً في إبراز الهدايات القرآنية في الأحكام والأخلاق والفضائل ، فاستعنت بالله فنظمت خطته في مقدمة وتمهيد وعشرة مباحث وخاتمة وفهارس .

المقدمة وفيها: أهمية البحث وسبب الكتابة فيه،وخطته،والمنهج المتبع،والدراسات السابقة.

التمهيد وفيه: التعريف بسورة الأحزاب.

توطئة: معنى الخصائص .

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائله (٢/٤٤).

المبحث الأول: نداؤه ﷺ بوصف النبوة.

المبحث الثاني:أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

المبحث الثالث: أن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين .

المبحث الرابع:أن الله تولى تزويجه من غير ولي و لاعقد ولا مهر.

المبحث الخامس:أن الله ﷻ أباح له ﷺ التزوج من النساء ما شاء.

المبحث السادس: أن الله ﷻ أباح له ﷺ الهبة في النكاح.

المبحث السابع:أن القسم بين نسائه ﷺ ليس واجباً عليه.

المبحث الثامن:أنه ﷺ ليس أبا أحد من الرجال.

المبحث التاسع:أنه ﷺ خاتم النبيين.

المبحث العاشر: تعظيمه ﷺ بالصلاة عليه من الله تعالى وملائكته وعباده المؤمنين.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات .

منهج البحث:

كان المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع على النحو التالي:

– أُورد في كل مبحث الآية أو الآيات المتعلقة به، ثم أبين معناها ووجه الدلالة منها ، وإبراز ما فيها من الأسرار البلاغية والهدايات القرآنية مما يذكره أهل التفسير.

– عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

– تخريج الأحاديث و الآثار من مصادرها مع الحكم عليها ما أمكن.

– تعريف الأعلام غير المشهورين تعريفاً موجزاً.

– توثيق أقوال أهل العلم من مصادرها.

– وضع فهارس في آخر البحث.

آمل أن أكون قد وفقت في الإسهام في خدمة كتاب الله،وفي إبراز شيء من هداياته، وأن أكون جمعت فيه ما تفرق وقربت منه ما بعد، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد وفيه: التعريف بسورة الأحزاب.

أولاً: اسم السورة:

تسمى السورة بسورة الأحزاب،لما ورد في بعض الآثار،ومنها:

-عن زِرِّ بن حبيش(ت٨٢هـ) قال:قال لي أُبي بن كعب ﷺ (ت٢٠هـ):كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كأين تعدها ؟ قال: قلت: ثلاثا وسبعين آية: فقال: قَط! لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ،ولقد قرأنا فيها:«الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالاً من الله،والله عزيز حكيم».[1]

-عن حارثة بن مضرِّب قال:كتب إلينا عمر بن الخطاب ﷺ:« أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور ».[2]

وهذه التسمية هي المثبتة في المصاحف وكتب التفسير، ولا يعرف لها اسم آخر، ووجه تسميتها بذلك ذكر غزوة الأحزاب فيها، فإن المشركين تحزبوا

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٣٤/٣٥)،والنسائي في السنن الكبرى (٢٧١/٤)، برقم (٧١٥٠) ، والحاكم في المستدرك (٣٥٩/٤) وصححه، وحسن إسناده ابن كثير في تفسيره (٣٧٥/٦)، وزر بن حبيش بن حباشة الأسدي: تابعي،أدرك الجاهلية والإسلام،ولم ير النبي ﷺ ،كان عالماً بالقرآن،توفي (٨٢هـ)،ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي(١٨٢/٧)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٢١/٣)،وأُبي بن كعب الأنصاري، من أجلاء الصحابة،وسيد القراء شهد المشاهد كلها، توفي (٢٠هـ)،ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر(٢٧/١)، الإصابة لابن حجر(٣١/١).

(٢) تقدم تخريجـــــه ، وحارثة بن مضرب العبدي الكوفي، قيل إنه أدرك النبي ﷺ ، روى عن عمر وغيره،ينظر:

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٦٥٥/١)، تهذيب التهذيب (١٦٦/٢).

على المسلمين من كل جهة، فاجتمع كفار مكة مع غطفان وبني قريظة وأوباش العرب[1] على حرب المسلمين، ولكن الله ﷻ ردَّهم مدحورين وكفى المؤمنين القتال.[2]

ثانياً:نوع السورة:

سورة الأحزاب مدنية، حكى الإجماعَ على ذلك جمع من المفسرين.[3]وقد دل على ذلك ما جاء عن ابن عباس ﷺ (ت٦٨هـ)أنه قال:« نزلت سورة الأحزاب بالمدينة».[4]

ومن تأمل آياتها جزم بأن السورة مدنية ، لما فيها من خصائص السور المدنية حيث تحدثت عن غزوة الأحزاب (الخندق) التي وقعت في شوال من السنة الخامسة من الهجرة، وعن حصار بني قريظة الذين ظاهروا المشركين ثم قتالهم، بعد وقعة الأحزاب، والحديث عن مواقف المنافقين وإيذائهم النبي ﷺ، وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها، وذكر بعض التشريعات المتعلقة بالنبي ﷺ وبغيره من المؤمنين.[5]

---

(١) غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان بطن متسع كثير الشعوب والبطون، منازلهم مما يلي وادي القرى وجبل طيىء، ينظر:جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٢٤٨، وبنو قريظة:قبيلة من يهود خيبر،وقد دخلوا في العرب. ينظر: أسماء القبائل وأنسابها للقزويني ص٢٣٠، وأوباش العرب:جموعها،ينظر:لسان العرب (٣٦٧/٦).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٥١٠/٢)،التفسير المنير د.وهبة الزحيلي (٢٢٥/٢١)،

(٣) ينظر:المحرر الوجيز لابن عطية (٣٦٧/٤)، التفسير الكبير للرازي (١٨٩/٢٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٦/١٤).

(٤) ينظر:الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٢١٢

(٥) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٩٤-١١٨)،وينظر:صفوة التفاسير للصابوني(٥٠٩/٢)، التفسير المنير للزحيلي (٢٢٦/٢١)

ثالثاً:مقصد السورة:

مقصد السورة نصرة النبي ﷺ وتأييده بالأمر بالثبات على تقوى الله ﷻ ولزوم طاعته وتأدية واجبات رسالة ربه ﷻ على أكمل وجه ، مع الحذر من أن يفسد عليه أعداؤه من الكافرين والمنافقين دعوته ، وهذا النصر والتأييد يتمثل في النقاط التالية:

١) نصرتُه ﷺ على قوى البغي والشر الذين تحزبوا حول المدينة لقتاله وتأييدُهُ بجنود من الله ﷻ ، وعلى يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد وتعاونوا على المسلمين.

٢) نصرته وتأييده ﷺ بدفع أذى أعدائه من اليهود والمنافقين وخذلانهم وكشف عوارهم ، وتسليطه ﷺ عليهم بإخراجهم من المدينة.

٣) تأييده وإعزازه ﷺ بما ورد في السورة من خصال حميدة وصف بها ﷺ، وخصائص وفضائل لم تكن لغيره .[1]

رابعاً: أبرز موضوعات السورة:

اشتملت هذه السورة على موضوعات عديدة ، ففيها أحكام تشريعية،وآداب إسلامية ، ودروس وعبر، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: تعرضت السورة الكريمة إلى بعض الأحكام التشريعية مثل حكم الظهار، والتبني ، والإرث، والطلاق والعدة ، وتعدد زوجات النبي ﷺ الطاهرات والحكمة منه ، وفرضية الحجاب على نساء المؤمنين وبيان الحكمة منه ، وغير ذلك.

(١) ينظر: تفسير سورة الأحزاب للغزالي خليل عيد ص٣ .

ثانياً: تعرضت السورة الكريمة إلى بعض الآداب الاجتماعية من توقير النبي ﷺ وتبجيله والحذر من إيذائه أو إيذاء المؤمنين،والحديث عن أمهات المؤمنين وتوقيرهن وعدم نكاحهن،وعن بيت النبوة وآداب الدخول إليه، وآداب الوليمة ،وإبطال التبني بالقول والفعل بإيراد قصة النبي ﷺ وزواجه من أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها(ت٢٠هـ) بعد طلاقها من زيد بن حارثة ﷺ(ت٨ هـ).[١]

ثالثاً: تحدثت السورة بالتفصيل عن غزوة الأحزاب (غزوة الخندق) ، فبدأت بتذكير المؤمنين بنعمة النصر، حيث تكالبت عليهم قوى البغي والشر من كفار مكة وغيرهم من قبائل العرب واليهود من الخارج، وتمالأ عليهم المنافقون من الداخل ، فكان ذلك امتحاناً شديداً من الله للمؤمنين. فانكشف الغطاء عن خفايا المنافقين وطويتهم، من الخيانة والكيد للإسلام وأهله ، وعن اليهود ونقضهم العهد ، فكان النصر من الله لنبيه ﷺ والمؤمنين على أعدائهم بإرسال الريح والجنود ، فكانت تلك معركة مليئة بالدروس والعبر والتوجيهات.

رابعاً: ختمت السورة الكريمة ببيان عظم أمانة التكليف وثقلها، وأنها ناءت بحملها السموات والأرض والجبال ، ثم حملها هذا الإنسان بضعفه وجهله، وأن الله ﷻ سيجازي كل عامل بعمله.[٢]

---

(١) زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين، أمها أُميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ ، تزوجها النبي بعد طلاقها من زيد ﷺ سنة خمس من الهجرة وتوفيت سنة (٢٠هـ)، ينظر:الاستيعاب (٣٠٦/٤)، الإصابة (٣٠٧/٤)، وزيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، تبناه النبي ﷺ وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت الآية: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ ،(الأحزاب: ٥)، شهد بدراً وما بعدها واستشهد في غزوة مؤتة،ينظر: الاستيعاب (٥٢٥/١)،الإصابة (٥٤٥/١).

(٢) ينظر:صفوة التفاسير (٥٠٩/٢)،تفسير سورة الأحزاب للغزالي خليل عيد ص٧ .

توطئة: تعريف الخصائص:

الخصائص جمع:خصيصة،وهي الصفة التي يتميز بها الشخص ويتفرد بها دون غيره.

قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): " التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم ".[١]

وفي لسان العرب:"خصه بالشيء يخصه خصاً وخصوصاً وخُصوصية وخَصوصية والفتح أفصح وخصيصى وخصصه واختصه أفرده به دون غيره ".[٢]

فالخَصِيصة تعني: الانفراد بالشيء حيث لايشاركه به غيره وتكون سمة يتميز بها عن غيره على وجه التفضل ومزيد من العناية،قال تعالى:﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٣]

وخصائص نبينا وحبيبنا محمد ﷺ هي الفضائل والأمور التي انفرد بها ﷺ وامتاز بها عن غيره، إما عن إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، مثل كونه خاتم النبيين، وإما عن غيره من أمته،مثل إباحة النكاح له بأكثر من أربع،فتفضَّلَ الله ﷻ بهذه الخصائص عليه وخصَّه بها.

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص٣٠٠ والراغب الأصفهاني: الحسين بن المفضل، أديب مفسر لغوي، عاش ببغداد وتوفي سنة (٥٠٢)، ينظر:سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨)، معجم المفسرين (١٥٨/١).

(٢) لسان العرب (٢٤/٧) .

(٣) سورة آل عمران، الآية (٧٤).

وكما أنه ﷺ خصَّه الله ﷻ بخصائص انفرد بها عن غيره فقد خصّ بعض أنبيائه بخصائص تميزوا بها عن غيرهم ، فمثلاً نبي الله موسى عليه السلام خصه الله تعالى عن سائر الرسل عدا محمداً ﷺ بأن كلمه من غير واسطة بصوت مسموع وناداه من جانب الطور بالوادي المقدس،قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[1] وخص نبيه سليمان عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾[2] إلى غير ذلك مما خص به بعض أنبيائه .

وتخصيص نبينا محمد ﷺ بخصائص دل عليها القرآن الكريم ، ووردت السنة الصحيحة بها ﷺ ،وهي خصائص عظيمة ووفيرة مثل تخصيصه ﷺ بكون رسالته عامة للثقلين وأنه أعطي الكوثر، وأن الله قد أخذ العهدَ والميثاقَ على الأنبياء أن يؤمنوا به ،وبأن الله ﷻ أحلَّ له مكةَ ساعة من نهار،إلى غير ذلك من الخصائص الواردة بالكتاب والسنة[3]، إلا أن سورة الأحزاب تميزت بأنها تعرضت لطائفة من خصائصه بلغت عشراً، فدفعتني لأن أجمع تلك الخصائص، وأتعرض لها بالبيان والتفصيل في هذه الدراسة حتى نتعرف جميعاً فيها على عظيم قدره ﷺ وجليل رتبته وعلو مكانته عند ربه ﷻ .

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٦٤).

(٢) سورة ص، الآيات (٣٥ – ٣٨).

(٣) ينظر: بداية السول في تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام ص٥٤، غاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن (٣/١).

المبحث الأول: نداؤه ﷺ بوصف النبوة في القرآن الكريم :

من خصائص نبينا محمد ﷺ التي أشارت إليها سورة الأحزاب نداؤه بوصف النبوة في القرآن الكريم ، حيث ناداه الله ﷻ بوصف النبوة في سورة الأحزاب خاصة خمس مرات[1]، هي على النحو التالي:

١) قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.[2]

٢) وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ .[3]

٣) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾.[4]

٤) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾.[5]

---

(١) أما في القرآن الكريم فقد نودي بوصف النبوة في ثلاثة عشرة موضعاً، في سورة الأنفال، الآيات:(٦٤،٦٥،٧٠)، وفي التوبة، الآية:(٧٣)، وفي الأحزاب، الآيات: (١،٢٨،٤٥،٥٠،٥٩)، وفي الممتحنة، الآية:(١٢)، وفي الطلاق،الآية:(١)، وفي التحريم الآية(١،٩).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢٨).

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٤٥).

(٥) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

٥) وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.(١)

ونداؤه ﷺ بوصف النبوة في القرآن الكريم دون دعائه باسمه المجرد خصوصيةٌ خُصَّ بها ﷺ وأُثبت فيها فضله وقدره على سائر النبيين ، وذلك أن كل نبي من أنبياء الله ناداه ﷻ باسمه، نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾،(٢)وقوله: ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾،(٣) وقوله: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾،(٤)وقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾،(٥) وهكذا.

وهذه النداءات الخمس الواردة في سورة الأحزاب، جاءت لأهداف متنوعة تتعلق بأحكام تشريعية،منها ما هو خاص به ﷺ،ومنها ما يتعلق به وبغيره،وإليك بيان هذه النداءات:

النداء الأول: وقد جاء في افتتاحية السورة ، وفيه ذكر شيء من واجبات النبي ﷺ نحو ربه ﷻ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.(٦)

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٣).

(٣) سورة هود، الآية (٤٦).

(٤) سورة الصافات، الآية (١٠٤).

(٥) سورة الأعراف، الآية (١٤٤).

(٦) سورة الأحزاب، الآية (١).

وافتتاح السورة بنداء النبي ﷺ بوصف النبوة، خصوصيةٌ خص الله ﷻ بها نبيه محمداً وأثبت فيها فضله على سائر النبيين، كما أن فيه إشارة إلى أن الأهم من سياق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي ﷺ ، وأن الهدف الأساس من هذه السورة هو تحديد واجبات رسالة النبي ﷺ وتأديتها على أكمل وجه ، مع الحذر من أن يفسد عليه أعداؤه دعوته ورسالته ، وهذا ما يسمى ببراعة الاستهلال.(١)

النداء الثاني: وهو ما جاء لغرض التنويه بمقام أزواجه ﷺ، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.(٢)

وافتتاح هذه الآيات بنداء النبي ﷺ بوصف النبوة خصوصية له وتشريف وتكريم. وهذا النداء الثاني في هذه السورة، ووجه ارتباطه بالنداء الأول الذي افتُتحت به السورة هو أن فضائل الأخلاق تكاد تنحصر في شيئين: التعظيم لأمر الله ﷻ ،والشفقة على الخلق، ثم إن الله تعالى لما أرشد نبيه محمداً ﷺ إلى ما يتعلق بجانب التعظيم لربه ﷻ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ .(٣) ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة فبدأ بالزوجات فإنهن أولى الناس بالشفقة.(٤)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٢١/٢٤٩).

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: (٢٨،٢٩).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (١).

(٤) ينظر: التفسير الكبير(٢٥/٢٥٠).

النداء الثالث: ما يتعلق بشؤون رسالته تجاه أمته،قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[1]

وافتتاح الآية بندائه ﷺ بوصف النبوة خصوصية وتشريف وتكريم ، وإشارة إلى بيان مهمته في دعوته الخلق ، وفي رسالته التي بعثه الله بها إلى الناس ، وقد خصه الله في هذه الآية بأن ناداه بأحسن الألقاب وأشرفها علواً لقدره، وتعظيماً لمقامه ﷺ ، فوصفه بوصف النبوة ، ثم ذكَّره بأبرز مهام رسالته وهي الشهادة على أمته وعلى أعمالهم خيرها وشرها ، والبشارة لمن آمن بالأجر العظيم ، والنذارة لمن كفر وعصى بالوعيد الشديد ، ودعوة الخلق إلى عبادة ربهم، وبيان أن رسالته إلى الخلق نور يشعُّ في الكون ، ويضيء للخلق فيهتدون بهداه ويستنيرون بنوره.[2]

النداء الرابع:ما يتعلق بأحكام تزوجه وسيرته مع نسائه ﷺ،قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾.[3]

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان (٤٥،٤٦).

(٢) ينظر:تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

وافتتاح الآية بندائه ﷺ بوصف النبوة خصوصية وتشريف له وتكريم ، وذلك ليرتب عليه ما أحل له من النساء توسعة عليه وتيسيراً له في تبليغ الرسالة ، وهن أربعة أصناف: أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن، ثم ما أحل له من الإماء من السبي مما فتح الله عليه، ثم ما أحل من الأقارب من بنات العم والعمات وبنات الخال و الخالات ممن هاجر معه، دون من لم تهاجر لأن الهجرة شرف عظيم، ثم ما أحل له من نكاح الهبة الذي خُص به دون غيره من المؤمنين توسعة عليه وتيسيراً له.(١)

النداء الخامس:ما ورد في تبليغه ﷺ آداب النساء لأهل بيته ولعامة المؤمنات،قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.(٢)

ونداؤه ﷺ في الآية بوصف النبوة خصوصية له وتشريف وإجلال لقدره ، وذلك ليرتب عليه أمراً عظيماً من أمور الشريعة ينبغي العناية به وتبليغه للأمة، وهو الحجاب الذي فرضه على نساء المؤمنين، لما فيه من البعد عن مواطن الريب ومظان التُّهم وأذى الفساق.(٣) فبدأ بتوجيه الأمر لأزواجه بالحجاب ، لأن الغيرة عليهن أشد، ثم بناته ،لأن مسؤولية الوالد عن أولاده أعظم ، ثم عامة نساء المؤمنين.(٤)

---

(١) ينظر:تفسير القرآن العظيم (٦/٤٤١)،إرشاد العقل السليم (٤/٤٢٥).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٥٩).

(٣) ينظر:التفسير الكبير (٢٥/٢٣٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/١٥٦).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٧١ .

هذه هي مواطن نداءاته ﷺ بوصف النبوة في سورة الأحزاب ، وهو الوصف الذي يعدُّ من أبرز أوصافه ، وأخص خصائصه التي خُص بها، وأُثبت فيها فضله وجلالة قدره على سائر النبيين .

أما الآيات التي ذُكر فيها ﷺ باسمه، فلم تأت في القرآن الكريم إلا في أربعة مواضع، وقد جاءت على سبيل الإخبار لا على سبيل النداء،قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾،(١) وقال تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ،(٢)وقال تعالى: وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾،(٣) وقال تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾.(٤)

ومما يؤكد خصوصيته ﷺ بندائه بوصف النبوة أنه قد ورد النهي الصريح بأن ينادى باسمه، وألاَّ ينادى إلا بوصفه:يا رسول الله، يا نبي الله، تبجيلاً له وإجلالاً،قال الله تعالى:﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ ،(٥)

قال ابن عباس ﷺ(ت٦٨هـ):« كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم فنهاهم الله ﷻ عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ ، وأمرهم أن يقولوا : يا نبي الله، يا رسول الله ».(٦)

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٤).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

(٣) سورة محمد، الآية (٢)).

(٤) سورة الفتح، الآية (٢٩).

(٥) سورة النور، الآية (٦٣).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٦٥٤) .

فتبين مما تقدم أن من خصائص نبينا محمد ﷺ الواردة في سورة الأحزاب نداءَهُ بوصف النبوة الذي يعد من أشرف أوصافه دون دعائه باسمه المجرد، وأن ذلك خصوصية خصه الله ﷻ بها، وأثبت فيها فضله ﷺ وعلو مقامه وتميزه على سائر النبيين.

المبحث الثاني:أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم :

قال الله تعالى:﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ .(١)

فمن خصائص نبينا محمد ﷺ التي خصه الله ﷻ بها في سورة الأحزاب وميزه بها عن سائر الخلق أنه أولى بالمؤمنين وأقرب من أنفسهم ، وفي هذا تعظيم له ﷺ وتكريم وتشريف ، حيث خصه بهذه الخصوصية ، وبوَّأه هذه المنزلة، وفضَّله بها على سائر خلقه ، فجعله أولى وأقرب بالمؤمن من نفسه، وأبرَّ به منها، وأحب إليه منها من جميع الوجوه ، وهذه الولاية تعني أنه ﷺ أحق بالمؤمنين من أنفسهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا، فقد جاء عنه أنه قال:« ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرأوا إن شئتم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ ،».(٢)

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ)،(٣) عند تفسير الآية: « أي: يجب عليهم أن يكون ﷺ أحبَّ إليهم من أنفسهم ، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها ، وحقه آثر لديهم من حقوقها ، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها ، وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب ، ووقاءه إذا لقحت حرب ، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ، ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ وصرفهم عنه ، لأنّ كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٦) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٧٩٥/٤) كتاب التفسير، باب { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم } ،برقم (٤٥٠٣)،عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) **الزمخشري**: محمود بن عمر الخوارزمي ، برع في اللغة والنحو والبيان ، أخذ بمذهب الاعتزال ودافع عنه، توفي سنة (٥٣٨هـ)،ينظر:طبقات المفسرين للسيوطي ص١٠٤، طبقات المفسرين للداودي (٣١٤/٢).

النجاة والظفر بسعادة الدارين، وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاوة وعذاب النار ».[١]

وهذه الأولوية تتضمن أموراً:

– تقديم محبة النبي ﷺ على كل شيء حتى على محبة النفس ، بمعنى أن يكون النبي ﷺ أحب إلى المؤمن من كل شيء حتى من نفسه، لأن الأولوية أصلها الحب، ومعلوم أن المؤمن نفسه أحب إليه من غيرها،فهذه الأولوية تقتضي أن تكون محبة النبي ﷺ أولى من محبة كل شيء،وبذلك يحصل له اسم الإيمان،يوضح هذا ما جاء في قوله تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ .[٢]

ولما جاء عنه ﷺ أنه قال: « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين ».[٣]

ولما قال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله، والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: « لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من

(١) الكشاف (٣/٥٣١).

(٢) سورة التوبة، الآية (٢٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/١٤)،كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان،برقم (١٤)، ومسلم في صحيحه (١/٦٦) كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ،برقم (١٦)،عن أنس ﷺ .

نفسك »، فقال: يا رسول الله،والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء حتى من نفسي، فقال ﷺ:« الآن يا عمر».[1]

–التسليم الكامل والانقياد التام لأمره ﷺ ولما جاء عنه ، فهذه الأولوية يلزم منها كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه، قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ ،[2] فليس لأحد من أهل الإيمان اختيار فيما حكم به الله تعالى وحكم به رسوله ﷺ ، بل السمع والطاعة والقبول والتسليم والإذعان لقضائهما ، وبهذا تتحقق الأولوية ، وتحصل له السعادة والفلاح في تسليمه الأمر لله ولرسوله وإذعانه بأنه ﷺ أولى به من نفسه، وأبر به منها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .[3]

– بيان أن هذه الأولوية تقتضي حرصه ﷺ الشديد وشفقته على أمته بإنقاذهم من الهلاك واجتهاده في نجاتهم، وحرصه على تخليصهم من الهلكات التي بين أيديهم فهو أولى بهم من أنفسهم ،لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك وهو ﷺ يدعوهم إلى النجاة، فقد جاء ما يؤيد ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾.[4] وقوله:

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/٢٤٤٥)،كتاب الأيمان والنذور،باب كيف كانت يمين النبي ﷺ،برقم (٦٢٥٧)،عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

(٣) سورة النور، الآية (٥١).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.[١]

وجاء عنه ﷺ أنه قال: « إنما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه »،[٢] وفي رواية: « وأنتم تفلتون من يدى ».[٣]

قال القرطبي (ت٦٧١هـ): " وهذا مثل لاجتهاد نبينا ﷺ في نجاتنا، وحرصه على تخلصنا من الهلكات التي بين أيدينا، فهو أولى بنا من أنفسنا، ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وظفر عدونا اللعين[٤] بنا صرنا أحقر من الفراش وأذل من الفراش، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ".[٥]

فتبين مما تقدم أن من خصائص نبينا الكريم ﷺ التي خصه الله ﷻ بها في هذه السورة أنه أولى بالمؤمنين وأقرب من أنفسهم ، وأبرُّ بهم منها، وأحب

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٧٨٧/٤) كتاب الفضائل ،باب شفقته ﷺ على أمته،برقم (٢٢٨٤) ،عن أبي هريرة ﷺ ، والحُجز: معاقد الإزار والسراويل ، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(٨٩٧/١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٧٩٠/٤)كتاب الفضائل ،باب شفقته ﷺ على أمته، برقم(٢٢٨٥) ، عن جابر ﷺ.

(٤) لعل القرطبي يشير إلى ما عاناه وعاينه من نكبة المسلمين في الأندلس على أيدي النصارى.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٢٢/١٤) ، **والقرطبي**: محمد بن أحمد الأنصاري من كبار المفسرين،من أهل قرطبة نزل مصر واستقر بها، وتوفي بها سنة(٦٧١هـ)، ينظر:طبقات المفسرين للسيوطي ص٧٩ ، طبقات المفسرين للداودي (٦٩/٢).

إليهم منها من جميع الوجوه ، وفي هذا تكريم وتشريف له ﷺ ، حيث خصه ﷻ بهذه الخصوصية ، وبوَّأه هذه المنزلة، وفضَّله بها على سائر خلقه.

المبحث الثالث: أن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين :

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ ،[1]

من خصائص نبينا محمد ﷺ التي خصه الله ﷻ بها في سورة الأحزاب أن أزواجه الطاهرات رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن أمهاتُ المؤمنين، وفي هذا رفعٌ لمقام أزواج النبي ﷺ حيث بوأهن ﷻ منزلة الأمومة لجميع المؤمنين، تكريماً من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ وتشريفاً له ، وهذه الأمومة تتمثل في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال ،دون الخلوة والمحرمية .[2] فهن أمهات للمؤمنين أي: في تحريم نكاحهن على التأبيد ، ووجوب إجلالهن وتعظيمهن ، إجلالاً لرسول الله ﷺ وتعظيماً له .

قال الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ):"أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع".[3]

فهذه الخصيصة خص بها سيد المرسلين ﷺ حيث جعلت أزواجه الطاهرات أمهات للمؤمنين تكريماً وتشريفاً وإعظاماً وإجلالاً له ﷺ ، وفيه تكريم لهن رضي الله عنهن جميعاً وأرضاهن وتشريف وتعظيم لحقهن ، وإعلاء لقدرهن بين الأمة ، ولا ريب أن في هذا تكريماً للمؤمنين وحفزاً لهم لمعرفة قدر أزواج نبيهم ﷺ وفضلهن وما لهن على المؤمنين من حقوق وواجبات .[4]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٦).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨٢/١٤) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٨١/٦) **وابن كثير**: إسماعيل بن عمر الدمشقي،كان مفسراً محدثاً مؤرخاً،توفي سنة(٧٧٤هـ)،ينظر:طبقات المفسرين للداودي(١١١/١)،البدر الطالع للشوكاني(١٥٣/١)،

(٤) ينظر: تأملات في قوله تعالى: " وأزواجه أمهاتهم " د. عبد الزراق البدر، مجلة البحوث الإسلامية العدد ٥٣ ص٢٦٥ .

فإذا علم منزلة أمومة أزواج النبي ﷺ لجميع المؤمنين، وفضلهن وحقهن على المؤمنين من التقدير والإجلال والتوقير والإكرام ، فإن هذا يقتضي تحريمهن على المؤمنين؛ فلا يجوز نكاحهن على التأبيد، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾،[1] أي:حكم أمومة أزواج النبي ﷺ للمؤمنين حكم دائم في حياته وبعد مماته ، وإنما جاء التصريح بأنه حكم ثابت من بعده،لأن ثبوت ذلك في حياته قد عُلم من قوله تعالى:﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.[2]

ولقد جاء تأكيد هذا التحريم في الآية بمؤكدات منها:تأكيد الظرف (بعدُ) بإدخال (من) ، ثم تأكيد عمومه بظرف (أبداً) ، وفائدته ليُعلم أن هذا التحريم تحريم مؤبد لا يتطرقه النسخ ،ثم زيد ذلك تأكيداً وتحذيراً بقوله:﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ ، فالإشارة إلى ما ذكر من إيذاء النبي ﷺ والتزوج بأزواجه ،ووصفه بالعظيم أي: في الإثم والجريمة بقرينة المقام ، وتقييد العظيم بكونه عند الله للتهويل والتخويف لأنه عظيم في الشناعة.[3]

فإذا علم أن أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين في الحرمة والاحترام، والتوقير والإعظام، وأن هذا يقتضي تحريم نكاحهن على المؤمنين تحريماً مؤبداً فهل يقال:إن النبي ﷺ أبٌ للمؤمنين ؟

تكلم على هذه المسألة كثير من المفسرين عند تفسيرهم لقوله ﷻ: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ،حيث إنَّ هذه الآية الكريمة يفهم منها أن النبي ﷺ أبٌ لهم ،

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٣).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/٩٤) .

لأن أزواجه أمهات لهم، وقد جاء عن ابن عباس ﷺ وغيره أنه كان يقرأ هذه الآية:«النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم »[١]

فالأبوة في هذه القراءة أبوة دينية ، بمعنى أنه يربيهم ويرشدهم ويدلهم على ما فيه صلاحهم لما ثبت عنه ﷺ أنه قال: « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم ».[٢] فهذا فيه دلالة على أن النبي ﷺ أب للمؤمنين أبوة نصح وبيان وتوجيه وإرشاد . ومن ذهب إلى أنه لا يجوز أن يسمى النبي ﷺ أباً للمؤمنين،استدلالاً بقوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ،[٣] فيجاب عليه بما أجاب به القرطبي(ت٦٧١هـ) في تفسيره فقال:" والصحيح أنه يجوز أن يقال: إنه أب للمؤمنين: أي: في الحرمة ، وقوله تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ، أي: في النسب ".[٤] فلا تعارض بين الأبوة المثبتة والأبوة المنفية ، فالأبوة المنفية هي أبوة النسب ، وأما الأبوة المثبتة فهي أبوة التعليم والنصح والإرشاد .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢ /٤١٥) وقال:صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورواه ابن جرير في تفسيره (١٢٢/٢١) عن مجاهد ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣١١٥/٩) عن عكرمة .

(٢) رواه النسائي في سننه (٣٨/١) كتاب الطهارة،باب النهي عن الاستطابة بالروث ،برقم (٤٠)، وأبو داود في سننه (٧/١)كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة برقم (٨)، وابن ماجه في سننه (١١٤/١) كتاب الطهارة،باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرِّمَة برقم (٣١٣)، والإمام أحمد في المسند (٣٢٦/١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٥٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨٤/١٤) .

المبحث الرابع:أن الله تولى تزويجه من غير ولي و لاعقد ولا مهر :

قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ .(١)

الوطر: الأرب والحاجة، وقضاء الوطر بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء، والمراد:انقضاء العدة ،لأن القضاء الفراغ من الشيء على التمام ،فكأنه قال:فلما قضى زيد ﷺ حاجته من نكاح زينب رضي الله عنها فطلقها وانقضت عدتها فلم يكن في قلبه ميل إليها ولا وحشة من فراقها زوجناكها.(٢)

وفيه دلالة على أن زيداً ﷺ هو الذي فارقها مختاراً من غير أن يكرهه أحد، كما أن التصريح باسمه ﷺ تشريف ومنقبة له وتنويه به ، حيث لم يذكر غيره من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين،(٣) ولذا قيل: كان يقال له زيد بن محمد ، فلما زال عنه هذا الشرف حين نزل قوله تعالى:﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾(٤) شرَّفه الله ﷻ بخصيصة لم يكن يخص بها أحداً من الصحابة، وهي التصريح باسمه في القرآن الكريم،وفي هذا تأنيس له وتعويض من الفخر بأبوَّة محمد ﷺ.(٥)

وفي قوله تعالى:﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾، خصيصة من خصائص النبي محمد ﷺ التي خصه الله ﷻ بها في سورة الأحزاب وميَّزه بها عن سائر الخلق وهي أن الله تولى تزويجه من فوق سبع سموات من غير عقد ولا ولي ولا مهر .

قال القرطبي (ت٦٧١هـ) في تفسيره: " ولما أعلمه الله بذلك دخل عليها بغير إذن، ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق، ولا شيء مما يكون شرطاً في

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٣٧).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٥/٣٥٩)، فتح القدير (٤/٢٨٤).

(٣) ينظر: منحة الكريم الوهاب ص١١٤

(٤) سورة الأحزاب ، الآية (٥).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٢٥) .

حقوقنا ومشروعاً لنا ، وهذا من خصوصياته ﷺ التي لا يشاركه فيها أحد بإجماع من المسلمين ".[١]

وجاء في تحفة الأحوذي: " قوله:﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾، أي:لم نحوجك إلى ولي من الخلق يعقد لك عليها تشريفاً لك ولها، فلما أعلمه الله بذلك دخل عليها بغير إذن ولا عقد ولا تقدير صداق ولا شيء مما هو معتبر في النكاح في حق أمته ، وهذا من خصوصياته التي لا يشاركه فيها أحد بإجماع المسلمين ".[٢]

ولذا كانت زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول:« زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات ».[٣]

وفي الحديث:" أنه لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ لزيد ابن حارثة ﷺ: « اذهب فاذكرها علي »، فانطلق حتى أتاها وهي تُخَمِّر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري – حتى ما أستطيع أن أنظر إليها – أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، وقلت: يا زينب، أبشري، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي ﷻ، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن "[٤]

وجاءت صيغة الماضي في قوله:﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾، للتأكيد على أن أمر الزواج قضي وقدر وأنه صائر بأمر الله ﷻ ،لقوله تعالى:﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾،أي:كان

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٢٥).

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٩/٦٩)

(٣) رواه البخاري في صحيحه(٦/٢٦٩٩)كتاب التوحيد،باب{ وكان عرشه على الماء} برقم (٦٩٨٤)،عن أنس ﷺ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/١٠٤٦) كتاب النكاح ، باب زواج زينب بنت جحش برقم (١٤٢٨)، عن أنس ﷺ .

قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ قضاء ماضياً مفعولاً لا محالة، وفيه إشارة إلى أن زواج نبينا محمد ﷺ من زينب رضي الله عنها لم يكن لقضاء شهوة ، بل لحكمة تشريعية ، أوضحها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ .[1]

قال ابن كثير(ت٧٧٤هـ): " أي: إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء ".[2]

فكان هذا الزواج بأمر من الله ﷻ ،لا لشهوة في نفسه ﷺ ، وكان لغرض نبيل وغاية شريفة، وهو إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من أن الابن الدَّعي لا يجوز لمن ادعاه وتبناه أن يتزوج بزوجته من بعده ، ظناً منهم أنه بمنزلة الابن الحقيقي .[3]

(١) ينظر:التفسير الكبير (٢١٢/٢٥)، تفسير القرآن العظيم (٤٢٧/٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٢٧/٦).

(٣) ينظر:روائع البيان (٣٢٢/٢).

المبحث الخامس:أن الله ﷻ أباح له ﷺ التزوج من النساء ما شاء :

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.[1]

من خصائص نبينا محمد ﷺ التي خصه الله ﷻ بها في سورة الأحزاب أن الله قد أباح له التزوج من النساء بأكثر من أربع، وقصر غيره من المؤمنين على أربع، إكراماً منه ﷻ لنبيه وتشريفاً له وتوسعة عليه لما رزقه الله من القوة ، وتيسيراً عليه ، ليتفرغ لشؤون الرسالة ونشر الدعوة، وتخفيفاً عليه ، ورحمة به ﷺ .

وافتتاح الآية بندائه ﷺ بوصف النبوة تشريفاً له ، وليرتب عليه ما أكرمه به ﷻ وأنعم عليه مما أحله له من أصناف النساء ، فبدأ بأزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن، ثم ما أحل له من الإماء من السبي مما فتح الله عليه، ثم ما أحل من الأقارب من بنات العم والعمات ، وبنات الخال والخالات ممن هاجر معه، ثم ما أحل له من نكاح الهبة الذي خص به دون غيره من المؤمنين توسعة عليه وتيسيراً له.[2]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/٤٤١)، تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٩

فاختص الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ في هذه الآية دون غيره من المؤمنين فأباح له التزوج من النساء بأكثر من أربع، وقصر غيره من المؤمنين على أربع ، إكراماً منه لنبيه ﷺ وتوسعة عليه وتيسيراً له في تبليغ رسالة ربه ﷻ .

وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ ، فقيل: إن المراد أن الله تعالى أحل له أن يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها، وعليه تكون الآية محللة له ﷺ نكاح جميع النساء حاشا ذوات المحارم ، وأن هذه خصيصة خصه الله بها حيث أحل له أن يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها من غير حد، وهو قول طائفة من المفسرين.[1]

وقيل: إن المراد أحللنا لك أزواجك، أي: الكائنات عندك، لأنهن قد اخترنك على الدنيا وزينتها، وهو قول جمهور المفسرين،[2] وذلك أن الله ﷻ لما أمر نبيه محمداً ﷺ أن يخير نساءه فاخترنه على الدنيا وزينتها،حرَّم عليه التزوج بغيرهن والاستبدال بهن، مكافأة لهن على فعلهن لقوله تعالى:﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾.[3] ولقول ابن عباس ﷺ : « نهي رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئًا ».[4]

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/١٥)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٣٣)،فتح القدير (٤/٢٩١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٢/١٥)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٣٣)،تفسير القرآن العظيم (٦/٤٤٧).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٥٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣١٤٦).

وعلى هذا فإنَّ القائلين بالإباحة مطلقاً وأنَّ الله قد أحل له أن يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها يرون أن الآية: ﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ ،[1] ناسخة للآية: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾.[2]

ووجه النسخ– عندهم – التعارض بين الآيتين، فإن إحداهما تبيح والأخرى تحرم ، وقالوا: إن الله ﷻ لما حرم على نبيه ﷺ النساء وقصره على نسائه اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة تطييباً لقلوبهن ومكافأة لهن على ذلك، نسخ ذلك التحريم بإباحة التزوج بمن شاء من النساء، وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف، واستدلوا بقول عائشة رضي الله عنها: « ما توفي رسول الله ﷺ حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء ».[3]

وأما الجمهور فعلى أنه لا نسخ بين الآيتين لإمكان الجمع ، فإن الله ﷻ أثاب نساء النبي ﷺ ورضي عنهن حين اخترنه بأن قصره عليهن فلم يحل له غيرهن لما اخترنه، فلا يحل له النساء من بعد اللاتي أحلهن الله له، ولما جاء عن ابن عباس ﷺ أنه قال في قوله:﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾،: « نهي

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٥٢).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٤/٢٢)، وأحمد في مسنده (١٨٠/٦)،والدارمي في سننه (٢٠٥/٢)كتاب النكاح باب قول الله تعالى { لا يحل لك النساء من بعد }) برقم (٢٢٤١)،والنسائي في سننه (٥٦/٦)كتاب النكاح،باب ما افترض الله ﷻ على رسوله ﷺ وحرمه على خلقه ليزيده إن شاء الله قربة إليه، برقم (٣٢٠٥)، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (٣٠٠٤).

رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئًا »،[1] وهذا رأي عامة المفسرين[2] واختيار الطبري(ت٣١٠هـ) حيث يقول: " وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي: إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن إلخ، وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية،لأن قوله: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ ﴾ ، عقيب قوله:﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾، وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين قبل الأخرى منهما، فإذا كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة لم يجز أن يقال إحداهما ناسخة الأخرى ".[3]

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) بعد ذكر اختيار الطبري:" وهذا الذي قاله جيد، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف" .[4]

قلت: وأما حديث عائشة المتقدم الذي استدل به القائلون بالنسخ فقد ذكر القاضي ابن العربي(ت٥٤٣هـ)، بأنه حديث ضعيف لا تقوم به حجة، وأنه على فرض صحته خبر آحاد، وأخبار الآحاد لا ينسخ بها القرآن المتواتر.[5] وعلى

---

(١)تقدم تخريجه .

(٢) ينظر:جامع البيان (٢٢/٢١-٢٢)، الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٢١٤،الكشاف (٣/٥٥٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٥٧١)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٤١).

(٣) جامع البيان (٢٢/٢٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/٤٤٩).

(٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/٣٣٣)،**وابن العربي**: محمد بن عبدالله الأندلسي من فقهاء المالكية ومن علماء الأندلس، توفي سنة (٥٤٣هـ)،ينظر:طبقات المفسرين للسيوطي ص٩٠، طبقات المفسرين للداودي (٢/١٦٧).

القول بأن الحديث صحيح فإنه لا يتعارض مع الآية المدعى عليها النسخ فإن الله ﷻ بين أنه لا يحل لنبيه محمد ﷺ من بعد ما أحل له من أصناف النساء المذكورات في قوله: ﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾ ، فإنها بينت الأصناف التي يتزوج منها النبي ﷺ، والحديث يؤيد ذلك ، فقد أبيح له من أصناف تلك النساء ما شاء والله أعلم.[١]

وعليه يكون المراد بأزواجه اللاتي أحلهن له أزواجه اللاتي في عصمته وقت نزول الآية ، بدليل قوله: ﴿ أَحْلَلْنَا ﴾ بصيغة الماضي، ولأن الله ﷻ سمّاهن أزواجه فهن اللاتي في عصمته زمن نزول الآية ، ولقوله: ﴿ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ ،أي: فيما مضى ، فيكون المراد بالإحلال تأكيد الحل والامتنان عليه ودفع ما يعاب به من اجتماع تسع نسوة في عصمته.[٢] فلما خص الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بهذه الخصوصية دون غيره من المؤمنين من إباحة التزوج من النساء بأكثر من أربع، إكراماً منه له ﷺ ، وامتناناً وتوسعة عليه ، وتيسيراً له في تبليغ الرسالة ، وقد نزلت آية التخيير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾[٣] فخيَّرهن ﷺ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، أكرمهن الله تعالى بأن قصره عليهن، وحرَّم عليه أن يتزوج بغيرهن مكافأة لهن بما فعلن من اختيار الله ورسوله والدار الآخرة.ويؤيد هذا التأويل ما ورد عن

---

(١) ينظر: فتح المنان في نسخ القرآن، علي حسن العريض ص٣٢٨ ، الآيات المنسوخة عند السيوطي،يوسف بن عبد العزيز الشبل .

(٢) ينظر: منحة الكريم الوهاب ص١٣٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢٨).

ابن عباس أنه قال في قوله :﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾،«نهي رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأُوَل شيئاً »[1]

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ ،:" إن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضي عنهن، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله ﷺ ، كما تقدم في الآية.فلما اخترن رسول الله ﷺ ،كان جزاؤهن أن الله قَصَره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن،أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن،ولو أعجبه حسنهن ".[2]

ولما أباح الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ التزوج من النساء بأكثر من أربع، إكراماً منه ،وامتناناً وتوسعة عليه، وخصه بهذه الخصوصية دون غيره من المؤمنين طعن فيه من طعن من المنافقين في كثرة أزواجه فدفع الله ﷻ ذلك المطعن عن نبيه ﷺوبين أنه طعن،بما لا مطعن فيه،فقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾ [3]

قال ابن سعدي (ت١٣٧٦هـ):"هذا دفع لطعن من طعن في الرسول ﷺ في كثرة أزواجه،وأنه طعن بما لا مطعن فيه،فقال:﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ أي: إثم وذنب،﴿ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ أي:قدر له من الزوجات، فإن هذا، قد أباحه الله للأنبياء قبله ".[4]

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٤٧/٦).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٣٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٦ ، **وابن سعدي**: عبدالرحمن بن ناصر السعدي من علماء القصيم برع في فنون شتى وألف مؤلفات عديدة، توفي سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: مشاهير علماء نجد للشيخ عبدالرحمن آل الشيخ ص(٢٩٢)، معجم المفسرين عادل نويهض (٢٧٩/١).

المبحث السادس: أن الله ﷻ أباح له ﷺ الهبة في النكاح :

قال تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ،[1]

من خصائص نبينا محمد ﷺ التي خصه الله ﷻ بها في هذه السورة الجليلة أنه قد أباح له الهبة في النكاح من غير مهر، إكراماً منه وتشريفاً وتوسعة عليه لما رزقه الله من القوة، وتيسيراً عليه ، ليتفرغ لشؤون الرسالة ونشر الدعوة، وتخفيفاً عليه ﷺ .

فقوله: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً ﴾عطف على قوله: ﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾،أي:وأحللنا لك امرأة مؤمنة تهب نفسها من غير صداق، وهذه خصوصية له ﷺ دون غيره من المؤمنين، والقيد بالمؤمنة يدل على أن غير المؤمنة لا تحل له كالكتابية،لأنها لا تكون أماً للمؤمنين، قال ابن العربي (ت ٥٤٣هـ):" والصحيح عندي تحريمها عليه ، وبهذا يتميز علينا فإنه ما كان من جانب الفضائل والكرامة فحظه فيه أكثر، وما كان من جانب النقائص فجانبه عنها أطهر فجوز لنا نكاح الحرائر الكتابيات، وقصر هو ﷺ لجلالته على المؤمنات ".[2]

وقوله تعالى: ﴿ إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾ ،أي: إن وهبت المرأة نفسها وقبلها النبي ﷺ حلت له من دون مهر ولا عقد ولا ولي

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

(٢) أحكام القرآن (١٥٥٩/٣).

، وإن لم يقبلها لم يلزم ذلك ، وإظهار لفظ " النبي " في الموضعين في مقام الإضمار إشارة إلى علو شأنه وسمو منزلته وجلالة قدره.(١)

وقد أجمع العلماء على أن هذا خاص بالنبي ﷺ وأنه لا يجوز لغيره لقوله:

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ ،أي: ما فرضه الله ﷻ على المؤمنين في حق أزواجهم من شروط العقد وحقوقه فإن ذلك فرض عليهم لا يجوز الإخلال به.(٢)

وقد جاء عن النبي ﷺ ما يؤكد تلك الخصوصية، وذلك لما جاءته امرأة وقالت: يارسول الله، إني قد وهبتُ نفسي لك ، فقامت قياماً طويلاً ، فقام رجل فقال: يا رسول الله، زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة،فقال رسول الله ﷺ:« هل عندك من شيء تُصدقها إياه ؟ » فقال: ما عندي إلا إزاري هذا، فقال رسول الله ﷺ: « إن أعطيتها إزارك جلستَ لا إزار لك، فالتمس شيئاً ». فقال: لا أجد شيئاً. فقال: « التمس ولو خاتماً من حديد » فالتمس فلم يجد شيئاً، فقال له النبي ﷺ: « هل معك من القرآن شيء؟ » قال: نعم؛ سورة كذا، وسورة كذا ، لسور يسميها.فقال له رسول الله ﷺ: « زوجتكها بما معك من القرآن ».(٣)

واختلف في الواهبات أنفسهن له ﷺ هل قبل منهن أحداً ؟ كما اختلف في عددهن وأسمائهن،فقيل: إنهن أربع: ميمونة بنت الحارث، وخولة بنت حكيم ،وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر رضي الله عنهن أجمعين.(٤)

---

(١) ينظر: الكشاف (٣/٥٥٠) ، التحرير والتنوير (٢٢/٦٩).

(٢) حكى الإجماع الشوكاني في تفسيره (٤/٢٩٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/١٩٦٨)، كتاب النكاح،باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح،برقم(٤٨٢٩)، ومسلم في صحيحه (٤/١٤٣)كتاب النكاح ،باب الصداق برقم (٣٥٥٢).

(٤) ينظر: الكشاف (٣/٥٥٠)، **وميمونة بنت الحارث** الهلالية،أم المؤمنين وآخر أزواجه ﷺ وآخر من مات منهن، ينظر:الاستيعاب (٤/٣٩١)، الإصابة (٤/٣٩٧). **وخولة بنت حكيم**،

والصحيح أنه لم ينكح النبي ﷺ من الواهبات أنفسهن أحداً ولم يكن عنده منهن شيء، لما جاء عن ابن عباس(ت٦٨هـ) ﷺ أنه قال: « لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له ».[١]

قال ابن كثير(ت٧٧٤هـ): " أي: إنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له، وإن كان ذلك مباحاً له ومخصوصاً به ؛ لأنه مردود إلى مشيئته " .[٢]

وقال ابن حجر (ت٨٥٢هـ)في الفتح:" والمحفوظ أنه لم يدخل بأحد من الواهبات".[٣]

فتبين مما تقدم أن نكاح الهبة من غير صداق من خصائص نبينا محمد ﷺ التي خصه الله ﷻ بها في هذه السورة الجليلة، إكراماً منه وتشريفاً وتوسعة عليه لما رزقه الله من القوة، وتيسيراً عليه ، ليتفرغ لشؤون الرسالة ونشر الدعوة، والله أعلم.

= السلمية امرأة عثمان بن مظعون، يقال لها أم شريك،كانت امرأة صالحة فاضلة، ينظر: الاستيعاب (٢٨١/٤)، الإصابة (٢٨٣/٤). **وزينب بنت خزيمة** بن الحارث الهلالية، أم المؤمنين، تسمى أم المساكين، كانت تحت عبيدة بن الحارث فقتل ببدر فتزوجها النبي ﷺ ولبثت عنده ثمانية أشهر ثم ماتت،ينظر:الاستيعاب (٣٠٥/٤)، الإصابة (٣٠٩/٤)، **وأم شريك**: القرشية العامرية، اسمها غُزَية - بضم الغين وفتح الزاي- بنت جابر بن عون، كانت من الواهبات أنفسهن للنبي= ﷺ =،وذلك بمكة،ينظر: الاستيعاب (٤٤٥/٤)، الإصابة(٤٤٦/٤)

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/٢٢)، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٣٨٦/٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٤٤/٦).

(٣) فتح الباري (٣٨٦/٨)،**وابن حجر**: أحمد بن علي العسقلاني،من أئمة العلم،ومن الحفاظ،له تصانيف كثيرة،توفي(٨٥٢هـ)،ينظر:الضوء اللامع للسخاوي(٣٦/٢)،البدر الطالع للشوكاني (٨٧/١).

المبحث السابع:أن القسم بين نسائه ﷺ ليس واجباً عليه :

قال تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ،[1]

من خصائص نبينا محمد ﷺ التي خصه الله ﷻ بها في هذه السورة الجليلة أنه لما أباح له التزوج من النساء بأكثر من أربع، وجعل ذلك من خصائصه ، وقصر غيره من المؤمنين على أربع ، و أباح له الهبة في النكاح من غير مهر، وجعله خالصاً له من دون المؤمنين خصه بخصوصية أخرى تميز بها عن غيره ، فجعل القَسْم بين نسائه أمراً غير واجب عليه ، فأباح له أن يسقط حق بعض نسائه في المبيت معهن ، فصار حق المبيت حقاً له ﷺ لا لهن ، بخلاف سائر المؤمنين ، إكراماً منه ﷻ وتشريفاً له ﷺ وتوسعة عليه، وتيسيراً ، ليتفرغ لشؤون الرسالة ونشر الدعوة.

والإرجاء : التأخير ، يقال:أرجأ الأمر إذا أخره ، مهموزاً ومخففاً، والإيواء:الإرجاع، من المأوى وهو المكان، يقال: آوى ، إذا رجع إلى مكانه.[2]

وللمفسرين في عود الضمير الوارد في قوله:﴿ مِنْهُنَّ ﴾ ، قولان:

القول الأول: أنه عائد على أزواجه اللائي في عصمته ﷺ ،أي: لا حرج عليك أن تترك القَسْم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتضاجع من شئت، وتترك من شئت، يدل على ذلك الآيةُ التي قبلها:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾،[3] وقولُه بعدها:﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥١).

(٢) ينظر: اللسان (٨٣/١) رجأ ، (٥١/١٤) أوي.

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

﴿أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾، وما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺكان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية:﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾، فقيل لها: ما كنت تقولين؟ فقالت:« كنت أقول: إن كان ذاك إليَّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أؤثر عليك أحداً».[1] فالحديث يدل على أن الآية نزلت في القَسْم بين نسائه وأنه غير واجب عليه ﷺ ،وفي هذا توسعة من الله ﷻ على نبيه ﷺ حيث أباح له أن يسقط حق بعض نسائه في المبيت معهن فصار حق المبيت حقاً له لا لهن بخلاف بقية المؤمنين ، وهذه من خصائصه التي تميز بها عن غيره مما جاء في هذه السورة ، ومع ذلك كان ﷺ يقسم لهن وإن لم يكن القسم عليه واجباً.[2]

القول الثاني: أنه عائد على الواهبات أنفسهن، أي: تؤخر من شئت من الواهبات أنفسهن فلا تقبلها،ومن شئت قبلتها،[3] يدل على ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت:« كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى:﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٧٩٨/٤)، كتاب التفسير، باب قوله:{ ترجئ من تشاء منهن} برقم (٤٥١١) ومسلم في صحيحه (١١٠٣/٢) كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية،برقم(١٤٧٦).

(٢) ينظر:جامع البيان (١٨/٢٢)،الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/١٤)،تفسير القرآن العظيم (٤٤٦/٦)

(٣) ينظر:جامع البيان(١٩/٢٢)،الجامع لأحكام القرآن(١٣٨/١٤)،تفسير القرآن العظيم(٤٤٦/٦)

مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾، قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ».[1]

قال ابن كثير بعد عرضه هذين الرأيين: " فهذا الحديث – يعني حديث عائشة في القَسْم– يدل على أن المراد من ذلك عدم وجوب القَسْم، وحديثها الآخر يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات، ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده، أنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم. وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، وفيه جمع بين الأحاديث؛ ولهذا قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾، أي: إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحَرَج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختياراً منك لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن".[2]

فظهر مما تقدم أن القَسْم بين نسائه ﷺ في حقه غير واجب ، بل إنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم، فأبيح لـه أن يسقط حق بعض نسائـه في المبيت معهن ، فصار حق المبيت حقاً له ﷺ ، وجعل ذلك من خصوصياته ﷺ التي خص بها في هذه السورة إكراماً منه ﷻ وتشريفاً له ﷺ وتوسعة عليه، وتيسيراً .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٧٩٧/٤)، كتاب التفسير، باب قوله:{ ترجئ من تشاء منهن} برقم (٤٥١٠) = = ومسلم في صحيحه (١٠٥٨/٢)، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها برقم(١٤٦٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٤٦/٦).

قال الفراء (ت٢٠٧هـ):" هذا ممَّا خُصّ به النبي ﷺ أن يجعل لمن أحب منهن يوماً أو أكثر أو أقل،ويعطّل مَنْ شاء منهن فلا يأتيه ، وقد كان قبل ذلك لكل امرأة من نسائه يوم وليلة".[1]

وقال الجصاص(ت٣٧٠هـ):" وهذه الآية تدل على أن القسم بينهن لم يكن واجباً على النبي ﷺ وأنه كان مخيراً في القسم لمن يشاء ، وترك من شاء منهن ".[2]

ومع أن نبينا محمداً ﷺ كان مخيراً في القَسْم بين أزواجه لمن يشاء ، وترك من شاء منهن، وأن الأمر فيه قد جُعل إليه ، إلا أنه ﷺ لم يأخذ لنفسه به على أزواجه، بل إنه ﷺ مع ما جعل الله تعالى له من التوسعة يسوي بينهن في القسمة،تطييباً لنفوسهن، ولذا يقول الزهري(ت١٢٤هـ): " ما علمنا أن رسول الله ﷺ أرجأ أحداً من أزواجه بل آواهن كلَّهن ".[3]

---

(١) معاني القرآن (٣٤٦/٢)،**والفراء:** يحيى بن زياد الديلمي إمام أهل العربية ومن أعلم أهل الكوفة بالنحو،مات (٢٠٧هـ)، ينظر:تاريخ بغداد للبغدادي(١٤٩/١٤)،بغية الوعاة للسيوطي(٣٣٣/٢).

(٢) أحكام القرآن (٥٤١/٣)، **والجصاص:**أحمد بن علي الرازي، أبو بكر من كبار الحنفية،سكن بغداد ومات فيها سنة(٣٧٠هـ)، ينظر:الدرر السنية في طبقات الحنفية للغزي (٤١٢/١)، طبقات المفسرين للداودي(٥٦/١).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره(١١٨/٢)، **والزهري:** محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من كبار التابعين ومن أشهر الحفاظ والفقهاء توفي سنة(١٢٤هـ)،ينظر:سير أعلام النبلاء (٣٩٤/٩).

المبحث الثامن:أنه ﷺ ليس أبا أحد من الرجال :

قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ ،[1]

من خصائص نبينا محمد ﷺ التي خصه الله ﷻ بها في هذه السورة الجليلة وهي أنه لم يكن أبا أحد من الرجال ، وقد تقرر فيما تقدم أن نبينا محمداً ﷺ أبٌ للمؤمنين كلهم،وأزواجه أمهاتهم، وأن هذه الأبوة أبوة تبجيل وتعظيم، وتعليم ونصح وإرشاد ، لا أبوة نسب أو ادعاء.

وقد ذكر القرطبي(ت٦٧١هـ) في تفسيره: " أن الآية نزلت لما تزوج النبي ﷺ من زينب رضي الله تعالى عنها قال الناس: تزوج امرأة ابنه زيد ﷺ فنزلت الآية، أي: ليس هو بابنه حتى تحرم عليه حليلته، ولكنه أبو أمته في التبجيل والتعظيم، وأن نساءه عليهم حرام ، فأذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم، وأعلم أن محمداً ﷺ لم يكن أبا أحد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة ".[2]

فالنبي ﷺ لم يكن أبا أحد من الرجال لا نسباً ولا تبنياً،أما تبنيه لزيد بن حارثة ﷺ فقد أبطله القرآن الكريم قولاً وفعلاً حين تزوج ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها التي كانت زوجة لزيد، وأما أبوَّتُه نسباً فلم يكن أبا أحد من الرجال، لأن أبناءه ﷺ قد ماتوا صغاراً. قال البغوي (ت٥١٠هـ) في تفسيره:"وقوله:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾،يعني: زيد بن حارثة، أي: ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٣) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٢٧) .

فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء: القاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم، وكذلك: الحسن والحسين، فإن النبي ﷺ قال للحسن: إن ابني هذا سيد؟ قيل: هؤلاء كانوا صغاراً لم يكونوا رجالاً ".[1]

فإن قيل: كيف كان عدم أبوَّة النبي ﷺ لأحد من الرجال خصيصة من خصائصه ؟

فالجواب: أن نبينا محمداً ﷺ هو خاتم النبيين ، ولا نبي بعده ، ومن المعلوم أن الأنبياء ذرية بعضها من بعض ، والرسل عليهم الصلاة والسلام لم يخل غالباً عمود أبنائهم من نبي. وكون النبي ﷺ ليس أبا أحد من الرجال تجعله خاتم النبيين في نسله ، فلا نبي بعده، وهذا يقتضي أن لا يكون له أبناء بعد وفاته لأنهم لو كانوا أحياء بعد وفاته ولم تخلع عليهم خلعة النبوة لأجل ختم النبوة به ، وفي هذا غض من حقه ﷺ دون سائر الرسل ، فلذا كان عدم أبوَّة النبي ﷺ لأحد من الرجال خصيصة من خصائصه ، وميزة تميز بها عن غيره من الأنبياء والرسل.[2]

---

(١) معالم التنزيل (٣٥٨/٦)، **والبغوي**:الحسين بن مسعود ، محي السنة، المعروف بابن الفراء كان إماماً حافظاً مفسراً محدثاً ، مات سنة (٥١٠هـ)،ينظر:سير أعلام النبلاء (٤١٣/٣٧)، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي(١٧٥/٧)، والحديث أخرجه البخاري (١٣٢٨/٣) كتاب المناقب،باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٤٣٠)، عن أبي بكرة ﷺ .

(٢) ينظر:الكشاف (٥٥٣/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٨٤/١٤)، حاشية الشهاب على البيضاوي(٤٩٤/٧)،التحرير والتنوير(٤٤/٢٢).

المبحث التاسع:أنه ﷺ خاتم النبيين :

قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ ،[1]

من خصائص النبي ﷺ التي ورد ذكرها في هذه السورة الجليلة أنه خاتم النبيين، وآخر المرسلين، فلا نبي بعده، فبه ختم الله ﷻ الرسالات السماوية، و بشرعه أتم الله دينه، فالآية الكريمة لما نفت في صدرها أن يكون نبينا محمد ﷺ أبا أحد من الرجال لا نسباً ولا تبنياً أثبتت في آخرها تميزه ﷺ واختصاصه بأن جعله الله ﷻ خاتم النبيين وجعل رسالته خاتمة الرسالات، فانفرد ﷺ بهذا الأمر وبغيره عن إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فأصبح ختم النبوة من خصائصه ﷺ فهو خاتم النبيين وآخر المرسلين فلا نبي بعده. والخاتم أو الختم:الطبع على الشيء وإنهاؤه ونهايته، جاء في الصحاح:" ختمت الشيء ختماً فهو مختوم، وختم الله له بخير، وختمت القرآن: بلغت آخره، واختتمت الشئ: نقيض افتتحته ، وخاتمة الشيء: آخره ، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ".[2]

وقد قرئت (خاتم) في الآية بقراءتين: الأولى: قراءة الكسر (خاتِم)،وهي قراءة جمهور القراء ، على أنه اسم فاعل من قولك: ختم النبيين فهو خاتمهم ، لأنه يختم النبيين فهو خاتمهم. والثانية: قراءة الفتح (خاتَم)،وهي قراءة الإمام عاصم(ت١٢٩هـ)[3]، والمعنى: أنه خُتم به النبيون، والذي يختَم به يقال

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٣) .

(٢) الصحاح (١٩٠٨/٥)، مادة (ختم).

(٣)الإمام عاصم بن أبي النجود الضرير الكوفي، أحد القراء السبعة، توفي سنة (١٢٩هـ)، ينظر:معرفة القراء الكبار ص٥١، تهذيب التهذيب (٣٨/٥).

فيه:خاتم ، فعلى هذه القراءة يكون المعنى: آخر النبيين مبعثاً ، فبه انتهت النبوة .[١]

وعلى كلتا القراءتين فإنَّ الآية تفيد أنه ﷺ خاتم النبيين وآخر المرسلين فلا نبي بعده، وأن النبوة والرسالة قد انقطعت بمجيئه،وعلى هذا عامة المفسرين.[٢]

وقد وردت أحاديث تبين أنه ﷺ خاتم النبيين، وآخر المرسلين، وأنه لا نبي بعده، ولا رسول ، منها: ما جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لَبنة، فكان مَنْ دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة،فأنا موضع اللبنة، ختم بي الأنبياء، عليهم السلام».[٣]

ففي الحديث أنه ﷺ شبَّه رسالته بين رسالات الأنبياء برجل بنى بيتاً على أحسن ما يكون البناء، لكنه ترك منه موضعاً لم يكمله، كما أنه ﷺ اعتبر رسالته خاتم الرسالات التي سيتم بها إتمام بناء الرسالات السماوية على الوجه الأكمل والأفضل.[٤]

وجاء في حديث آخر ما يدل على أن المنفي النبوة والرسالة جميعاً، قال رسول الله ﷺ:« إن الرسالة والنبوة قد انقطعت،فلا رسول بعدي ولا نبي ».[٥]

---

(١)ينظر:جامع البيان(١٣/٢٢)،السبعة لابن مجاهدص٥٢٢،الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي (١٩٩/٢) .

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٥٠/٨)،تفسير القرآن العظيم (٤٢٨/٦)، لباب التأويل (٤٢٩/٣)

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٣٠٠/٣)كتاب المناقب باب خاتم النبيين ﷺ برقم (٣٣٤١)، ومسلم في صحيحه (١٧٩١/٤) كتاب الفضائل،باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، برقم (٢٢٨٧).

(٤) ينظر: كتاب عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لأحمد الغامدي ص٤٠ .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٢٦/٢١)، والترمذي في سننه (٥٣٣/٤)كتاب الرؤيا عن رسول الله ﷺ ،باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات برقم (٢٢٧٢)،وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم(١٨٥٣).

ولعل من الحكمة في كون النبي المجتبى ﷺ خاتمَ النبيين وآخرَ المرسلين ، وأن ذلك من خصائصه التي اختص بها دون غيره هو أن نبينا ورسولنا محمداً ﷺ وسائرَ الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق،كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ،[1] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ ،[2] ومع ذلك فإن هذه الصفوة لا شك أن يكون خاتمها وصفوة الصفوة سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغُرِّ المحجلين محمد بن عبدالله ﷺ، وقد علم أن الأخير والخاتم هو الأفضل؛ فكانت نبوته ورسالته أتم شيء وأكمله في سلسلة الأصفياء والأتقياء من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

(١) سورة الحج ، الآية (٧٥).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٢٤).

المبحث العاشر:تعظيمه ﷺ بالصلاة عليه من الله تعالى وملائكته وعباده المؤمنين :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1]، هذه الآية فيها تشريف وتكريم من رب العالمين لسيد المرسلين وإمام المتقين محمد بن عبد الله ﷺ ، وخصيصة من خصائص النبي ﷺ حيث شرَّفه الله سبحانه وتعالى بالصلاة عليه في حياته وبعد مماته منه ﷻ ، ومن ملائكته الكرام ،وعباد الله المؤمنين ،تعظيماً وتكريماً وتشريفاً وإجلالاً له ﷺ ، ورفعاً لذكره،وإعلاء لمكانته في الملأ الأعلى وبين المؤمنين في حياته وبعد مماته.

وقد افتتحت الآية بالجملة الاسمية.ثم جيء بالفعل بصيغة المضارع ، وذلك لإفادة الدوام والاستمرار، وأن هذا الثناء والتمجيد دائم ومتجدد في كل وقت، كما أن افتتاحها باسم الجلالة للتعظيم في هذا الحكم، وذكر صلاة الملائكة الكرام مع صلاة الله ﷻ ليكون مثالاً من صلاة أشرف المخلوقات على النبي ﷺ ، وليرتب عليه أمر المؤمنين بالصلاة عليه ﷺ اهتماماً بأمره وإظهاراً لشرفه وتعظيماً لشأنه، فيكون ما قبل هذا الأمر من الثناء توطئة وتمهيداً له.[2] وأما معنى هذه الصلاة فقد قال ابن عباس(٦٨هـ)ﷺ: « يصلون:يُبرِّكون »،[3]أي:يدعون له بالبركة،وقال أبو العالية(ت٩٣هـ):«صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة،وصلاة الملائكة الدعاء».[4]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/٩٧)، روائع البيان (٢/٣٦١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/١٨٠١)،كتاب التفسير،باب قوله:{ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ }.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/١٨٠١)،كتاب التفسير،باب قوله:{ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ } ،وأبو العالية:رفيع بن مهران الرياحي من كبار التابعين، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ من أئمة الحديث والتفسير، توفي سنة (٩٣هـ)، ينظر:طبقات المفسرين للداودي (١/١٨٧).

وقال ابن القيم (ت٧٥١هـ):" معنى صلاة الله ﷻ على النبي ﷺ الثناء على الرسول والعناية به، وإظهار شرفه، وفضله وحرمته، وصلاتنا على النبي ﷺ تعني أننا نطلب من الله الزيادة في ثنائه على النبي ﷺ وإظهار فضله وشرفه وتكريمه وتقريبه له " .(١)

فإن قيل: لم خص المؤمنون بالسلام دون الله ﷻ والملائكة ؟ فالجواب: أن السلام هو تسليم النبي ﷺ مما يؤذيه، فكأن الآية تشير إلى التحذير من إيذائه بأي وجه من الأذى، ومن المعلوم أن الأذية إنما هي من البشر، لذا ناسب تخصيصهم بها والإشارة إليه.(٢)

فمما تقدم تبين لنا أن هذه الآية فيها خصيصة لخير البرية وأزكاها ﷺ ،ومنقبة عظيمة ، حيث عظَّمة الله سبحانه وتعالى بالصلاة عليه في حياته وبعد مماته منه ﷻ ، ومن ملائكته الكرام ، وعباده المؤمنين تشريفاً وتكريماً وإجلالاً له ﷺ ، ورفعاً لذكره ، وإعلاء لمكانته في الملأ الأعلى وبين المؤمنين في حياته وبعد مماته.

فأخبرت الآية في صدرها بهذه الخصيصة وتلك المزيَّة لنبينا محمد ﷺ ، والتي هي الصلاة عليه من الله جل ثناؤه ومن ملائكته المكرمين تعظيماً لمكانته وسمواً لمنزلته، وختمت في آخرها بأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه إظهاراً لاحترامه وتبجيلاً له وتنويهاً بحقه على أمته .

---

(١) جلاء الأفهام ص٢٦١ .

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية للعجيلي (٣/٤٥٤).

الخاتمة

أحمد الله حمدًا كثيراً أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله جلت قدرته أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي:

– أن سورة الأحزاب من السور المدنية التي تناولت أحكاماً تشريعية وآداباً اجتماعية،وقد كان مقصدها الأساس: نصرة النبي ﷺ وتأييده بالأمر بالثبات على تقوى الله ﷻ ولزوم طاعته وتأدية واجبات رسالة ربه ﷻ ، وقد تمثَّل هذا في نصرته ﷺ على قوى البغي والشر الذين تحزبوا حول المدينة لقتاله، وتأييده بجنود من الله ﷻ ،وكذلك نصرته ﷺ بتوقيره وتبجيله والحذر من إيذائه بأي لون من ألوان الأذى ، واحترام أزواجه أمهات المؤمنين وأهل بيته، ونصرته بدفع أذى أعدائه من اليهود والمنافقين وخذلانهم وكشف عوارهم .

– أنَّ سورة الأحزاب قد تميزت عن غيرها من سور القرآن بالإشادة بذكر خصائص جليلة خُصَّ بها نبينا محمد ﷺ وأكرمه الله ﷻ وشرفه بها على سائر الأنبياء والمرسلين والبشرية أجمعين بلغت عشراً ، فجاءت هذه الدراسة مجلِّيَة هذه الخصائص المتميزة في تلك السورة خدمة لكتاب الله ﷻ وإبرازاً لهداياته، وتعظيماً لجناب نبينا محمد ﷺ وتبجيلاً، وإبرازاً لشيء من حقوقه على أمته ، ليتعرف المؤمن من خلالها ما لهذا النبي الكريم ﷺ من تعظيم وتوقير، ثم من وجوب تعظيمه ومحبته، وطاعته، والسير على نهجه والتمسك بسنته.

– أنَّ سورة الأحزاب ذكرت خصائص متنوعة جليلة خص بها نبينا محمد ﷺ بلغت عشر خصائص تدل على عظيم مكانته وعلو مقامه وسمو منزلته عند

ربه ﷻ ،ودراسةُ هذه الخصائص وإبرازها وكشف ما فيها من هدايات وتوجيهات وأسرار مما ينير القلوب ويبصرها ويزيدها إيماناً ومحبة وتعظيماً لهذا النبي الكريم ﷺ.

– أنَّ هذه الدراسة جاءت مستقصية مواطن كل خصيصة من خصائص نبينا محمد ﷺ، راصدة ما أورده الله تعالى في هذه السورة الجليلة، ومن ثم دراستها دراسة تفسيرية ، وتجلية ما فيها من هدايات وتوجيهات ربانية ، وإبراز ما حوته من أوجه بلاغية وأسرار بديعية.

وختاماً أحمد الله جل جلاله على ما يسَّر وسهَّل، وأسأله أن يغفر زللي وتقصيري، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١– أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، دار الفكر،بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.

٢–أحكام القرآن، أبوبكر ابن العربي، ت: محمد علي البجاوي، دار الجيل ، بيروت لبنان،١٤٠٨ هـ.

٣– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود بن محمد العمادي ،ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٤– الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان.

٥– أسماء القبائل وأنسابها – محمد المهدي الحسيني القزويني، ت: كامل الجبوري، الدار

العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦– الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٧– الآيات المنسوخة عند السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، دراسة ونقد ، تأليف: يوسف بن عبد العزيز الشبل،نشر: دار كنوز أشبيليا، الرياض ،ط١،١٤٣٣هـ

٨– بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم ،العز عبد العزيز بن عبد السلام ،تحقيق ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي.

٩- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت لبنان.

١١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – ت محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر، بيروت لبنان.

١٢- تأملات في قوله تعالى: " وأزواجه أمهاتهم " د. عبد الزراق البدر، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية،العدد ٥٣ ، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الرياض.

١٣- تاريخ بغداد ، أحمد بن علي البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٤- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، نشر: الدار التونسية، ١٩٨٤م.

١٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ،محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، ضبط ومراجعة:عبد الرحمن محمد عثمان،نشر دار الفكر.

١٦- تفسير سورة الأحزاب ، الغزالي خليل عيد، نشر:مؤسسة المد الله – ١٤٠٢ هـ ١٦- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي،ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة،ط١، ١٤١٧هـ.

١٧- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة للنشروالتوزيع ،الرياض ، السعودية ، ط١، ١٤١٨هـ.

١٨- التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

١٩– التفسير المنير د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

٢٠– تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف الهندية١٣٢٥هـ.

٢١– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكان ط٢ ١٤٢٤هـ .

٢٢– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، بيروت ، لبنان، ١٤١٢هـ.

٢٣– الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٤– جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٥– حاشية الشهاب،عناية القاضي وكفاية الراضي، أحمد بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية–بيروت، لبنان،ط١، ١٤١٧هـ.

٢٦– الدرر السنية في تراجم الحنفية ، تقي الدين بن عبد القادر الغزي الحنفي ، ت عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي للنشر والتوزيع ، الرياض، السعودية، ط١ ١٤٠٣هـ.

٢٧– روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي ،سوريا، ط٢ ،١٣٩٧هـ.

٢٨–السبعة في القراءات لابن مجاهد،تحقيق:شوقي ضيف،دار المعارف، القاهرة، مصر ط٣.

٢٩– سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي الناشر: دار الفكر، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

٣٠– سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، إشراف: الشيخ صالح ابن عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية ط١،١٤٢٠هـ.

٣١– سنن الدارمي– عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ،١٤٠٧.

٣٢– السنن الكبرى ،أحمد بن شعيب النسائي، ت: د.عبد الغفار سليمان البنداري ،سيد كسروي حسن ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ،ط ١ ،١٤١١.

٣٣– سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني الناشر : دار الفكر – بيروت – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤– سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي،مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان،ط٢، ١٤٠٦.

٣٥– الصحاح–تاج اللغة وصحاح العربية– إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت أحمد عبد الغفور عطار–دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠م.

٣٦–صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري،ت:سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز، دار الفكر ١٤١٤هـ.

٣٧–صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الرياض، السعودية ١٤٠٠هـ.

٣٨– صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، دار القلم، بيروت، لبنان، ط٥.

٣٩– الضوء اللامع الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان

٤٠– طبقات المفسرين، عبد الرحمن السيوطي ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان.

٤١– طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.

٤٢– عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ،أحمد الغامدي،دار طيبة، الرياض، السعودية،ط ١١٤٠٥هـ .

٤٣– غاية السول في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم، لعمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن ،تحقيق : عبد الله بحر الدين عبد الله،نشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٤٣– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني – دار الريان، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.

٤٤– فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ، مكتبة المعارف، الرياض.

٤٥- فتح المنان في نسخ القرآن، علي بن حسن العريض، نشر مكتبة الخانجي بمصر،ط١،١٩٧٣م.

٤٦- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان بن عمر العجيلي ، الشهير بالجمل ، دار إحياء الكتب العربية.

٤٧- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ، أبو عبيد القاسم بن سلام،ت:أحمد عبد الواحد الخياطي، مطبعة فضالة، المغرب، ١٤١٥هـ.

٤٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٤٩- الكشف والبيان – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ الطبعة : الأولى .

٥٠- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ، ت محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان، ط٥ ١٤١٨هـ.

٥١- لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد الشيحي، المعروف بالخازن تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

٥٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور،دار صادر،بيروت، لبنان، ط١ ١٤١٠هـ .

٥٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٤١٣هـ .

٥٤- المستدرك على الصحيحين ، الحافظ أبوعبدالله الحاكم، دار المعرفة، بيروت لبنان.

٥٥- المسند ،الإمام أحمد بن حنبل ،ت:مجموعة من العلماء بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ.

٥٦- مشاهير علماء نجد،عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ،دار اليمامة ،ط٢،١٣٩٤هـ

٥٧- معرفة القراءة الكبار على الطبقات والأعصار-محمد بن أحمد الذهبي- تحقيق: محمد

حسن الشافعي-دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان-ط١، ١٤١٧هـ.

٥٨- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٥٩- معاني القرآن ، يحيى بن زكريا الفراء،ت أحمد نجاتي ، محمد النجار.

٦٠- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الحسين بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت ، لبنان.

٦١- معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط٣، ١٤٠٩هـ.

٦٢- منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب ، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض، السعودية، ط١ ١٤٢٦هـ.

٦٣- الناسخ والمنسوخ، أبوبكر ابن العربي، تحقيق د.عبدالكبير المدغري، المملكة المغربية - ١٤٠٨هـ.

٦٤- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبوجعفر النحاس، رواية أبي بكر الأدفوي - المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٤٢٥هـ.

٦٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

فهرس الموضوعات

المقدمة	١٣
التمهيد	١٩
توطئة	٢٣
المبحث الأول: نداؤه ﷺ بوصف النبوة	٢٥
المبحث الثاني:أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم	٣٢
المبحث الثالث: أن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين	٣٧
المبحث الرابع:أن الله تولى تزويجه من غير ولي و لاعقد ولا مهر	٤٠
المبحث الخامس:أن الله ﷻ أباح له ﷺ التزوج من النساء ماشاء	٤٣
المبحث السادس: أن الله ﷻ أباح له ﷺ الهبة في النكاح	٤٩
المبحث السابع:أن القسم بين نسائه ﷺ ليس واجباً عليه	٥٢
المبحث الثامن:أنه ﷺ ليس أبا أحد من الرجال	٥٦
المبحث التاسع:أنه ﷺ خاتم النبيين	٥٨
المبحث العاشر: تعظيمه ﷺ بالصلاة عليه من الله تعالى وملائكته وعباده المؤمنين	٦١
الخاتمة	٦٣
فهرس المصادر والمراجع	٦٥
فهرس الموضوعات	٧٣